الجمهورية العراقية
وزارة الاعـلام
مديرية الآثار
بغـداد

سومر

مجلة علمية تبحث في آثار الوطن العربي وتاريخه

الجزء الاول والثاني ١٩٧٤ المجلـد الثلاثون

General Organization Of the Alexandria Library (GOAL)
Bibliotheca Alexandrina

ثبت الجزء

الصفحة		
أ	تقـديم	الدكتور عيسى سلمان
١	البيئة الطبيعية القديمة في العراق	فؤاد سـفر
١١	تطور علم الحيوان في الحضارات القديمة	عصام الملائكة
٢٧	بحث في الامثال العراقية ـ دراسة مقارنـة لامثـال المجتمع العراقي القديم والمعاصر ـ القسم الثاني ـ	الدكتور عبدالهادي الفؤادي
٤٧	اقدم حرب للتحرير عرفها التاريخ	الدكتورفاضل عبدالواحد علي
٥٩	ملامح الوجود السامي في جنوبي العراق	عبدالكريم عبدالله
٧٩	الطب العراقي القديم	الدكتور سامي سعيد الاحمد
١٣٧	مميزات الزجاج العراقي القديم وصفاته	هناء عبدالخالق
١٥٥	الحضر : النقود المكتشفة خلال تنقيبات (١٩٧١ ـ ١٩٧٢)	الدكتور واثق الصالحي
١٦٣	خان مرجان وصيانته	عطا الحديثي
١٧١	موضع سامراء وتحريات المعتصم	الدكتور طاهر العميد
٢٠٣	خزف سامراء الاسلامي	خالد خليل الاعظمي
٢٢٣	الكنى والالقاب على نقود دولتي المرابطين والموحدين في شمال افريقيا والاندلس	الدكتور محمد باقر الحسني
٢٧٣	التربة في العمارة الايوبية في سوريا	الدكتور عادل نجم عبو
٢٨١	حلي اسلامية اقتناها المتحف العراقي	زكية عمر العلي

التقـارير والانبـاء والمراسلات

٢٩٧	مسح آثاري في منطقة جزيرة عفك	صباح جاسم الشكري
٣٠٩	المجتمع العائلي الموسع والحكم الذاتي فى «أرافا»	ترجمة ـ سليم طه التكريتي
٣٢٩	آثار احرزها المتحف العراقي ـ٤ـ	كمال منصور عبادة
٣٣٥	البيئة الحيوانية لموقع ام الدباغية	ترجمة ـ ميسون حسو
٣٣٩	المؤتمر السابع للآثار في البلاد العربية	علي محمد مهدي
٣٤٣	اضواء جديدة على حوض الخليج العربي وتكوين سهل العراقي الجنوبي	
٣٤٥	المكتبة الآثارية	
٣٥٣	منجزات ومشاريع مديرية الآثار العامة	صادق الحسني

البيئة الطبيعية القديمة في العراق

فؤاد سفر
مفتش التنقيبات العام

الملخص(*)

اجزاء من جبال العراق وسهوله جرداء من الاشجار والنباتات التي كانت تكسوها وقفراء من الحيوانات التي كانت ترتادها ، وذلك بفعل الانسان لا نتيجة لتبدل في المناخ ، حيث ان المناخ كان طيلة العشرة الاف سنة الماضية شبيها او قريب الشبه بما هو عليه في الوقت الحاضر • وبما ان المناخ ليس عائقا فبوسعنا ان نعيد الخضرة والحياة الى الكثير من المناطق الجرداء وفق متطلبات العصر • ولا بد من دراسة البيئة القديمة لنتمكن من تحقيق ذلك •

اخذ الاهتمام بحماية الطبيعة يزداد في معظم اقطار العالم نظرا لما يصيب الطبيعة من تلوث وتخريب واهمال نتيجة التوسع الحضاري الحديث وبسبب التصرف العشوائي بها • وقد تنبهت هيئة الامم المتحدة الى الاخطار الناجمة عن هذا الاهمال فاوعزت الى منظمة اليونسكو لوضع اتفاقية تتعهد فيها الدول التي ترغب في التعاقد في تلك الاتفاقية ، بحماية التراث الطبيعي وبالتعاون فيما بينها لتحقيق تلك الحماية(١)

وقد دفعني الى الكتابة في البيئة الطبيعية القديمة في العراق ما لاحظته من اهتمام بالغ من لدن الخبراء الذين اشتركوا في المؤتمر المعقود من قبل منظمة

(*) القي هذا الموضوع في جمعية التراث والفن ببغداد في مستهل عام ١٩٧٤

(١) وقد عنونت بـ « اتفاقية لحماية التراث العالمي الثقافي والطبيعي » واقرها المؤتمر العام لليونسكو في دورته السابعة عشرة ، بباريس في تشرين الثاني ١٩٧٢

اليونسكو في باريس خلال نيسان من عام ١٩٧٢ لاعداد الاتفاقية المذكورة بالصيغة النهائية ، وكنت ممثلا لبلادي في ذلك المؤتمر •

بعد ان انتهى العصر الجليدي الاخير بدات فترة دفء في العالم وقبل نحو عشرة الاف سنة كانت هذه الفترة قد استقرت على مناخ يكاد يكون ثابتاً[٢] ، وهو المناخ الذي نعيشه في الوقت الحاضر • ومعنى هـذا ان المناخ الذي كان سائدا في بلادنا في العصـور الزاهية كالعصر العباسي والبابلي والاشوري ومـن قبل ذلك العصر السومري، لم يكن يختلف بصورة عامة اختلافا كبيرا عن المناخ في وقتنا الحاضر مـن حيث درجات الحرارة صيفاً وشتاءً وكمية الامطار المتساقطة ومن حيث هبوب الرياح •

ولقد اجمع العلماء الباحثون في احوال المناخ القديمة وتطوراته في الاقطار الواقعة في جنوب غربي آسيا على هذا الرأي • ومنهم فان زايست الذي نشر رأية بالاشتراك مع رايت في عام ١٩٦٣ تحت « دراسات اولية لغبار الطلـع فـي بحيرة زريبار بجبـال زاكروس »[٣] •

ونشر ثانية رايت بمفرده مثل هذا الرأى فـي مقال عنونه بـ « البيئة الطبيعية في بداية انتاج القوت في شمالى ما بين النهرين »[٤] •

وحديثا توصلت ديانا كركبرج من تنقياتها في العام الماضي في الموقع الاثري أم دباغية الواقـع بالقرب من مدينة الحضر الى نفس النتيجة • فهي تقول :

« ان الدراسات الخاصة بالنبات والحيوان وبالقشرة الارضية وكذلك ما توصلت بنفسي اليه من تنقيباتي ـ تشير جميعها الى انه لم يحصل تبدل هام في المناخ في منطقة تل ام دباغية خلال الثمانية الاف سـنة الماضية »[٥] ، اي منذ بدأ الاستيطان في ام دباغية وفي الواقع استقر المناخ قبل ام دباغية بالفى عام اي منذ ان اخذ الانسان يسكن في القرى الزراعية الاولى •

وبالرغم من استقرار المناخ وعدم تغيره تغيرا ملحوظا فان لدينا ادلة كثيرة على ان البيئة النباتيـة والحيوانية القديمة في العراق قد طرأت فيها تبدلات كثيرة خلال العشرة الاف سنة الماضية ، فقد اختفت من الوجود اجناس من الحيوانات وجردت جبال من

---

(٢) Frank Hole "Evidence of Social Organization from Western Iran, 8000-4000 BC," in *New Perspectives in Archaeology* edited by Sally Binford and Lewis Binford (Chicago 1968), pp. 246-7.

(٣) Willem von Zeist and H. E. Wright, "Preliminary Pollen Studies at Lake Zeribar, Zagros Mountains, South western Iran," in *Sience* 5 April 1963, vol. 140, No. 3562, p. 65-67.

ولا يعني هذا انه لم تكن ذبذبات مناخيـة طيلة فترة الدفء • فقد وجد فان زايست ورايت من دراستهما لغبار الطلع في بحيرة زريبار الواقعة بالقرب من الحدود العراقية الايرانية انه حدثت ذبذبة مناخية واستقرت قبل نحو ٥٥٠٠ سنة

وتؤيد وجود هذه الذبذبة النتائج التي توصل اليها فرنر نوتزل من دراسته الاولية لنماذج من الصخور اخذت من قعر الخليج العربي (تراجـع رسالـة فرنـر نوتـزل المنشـورة فى باب الانباء والمراسلات من هذا العدد من مجلة سومر)

(٤) Wright (H.E.), "Natural Environment of Early Food. Production North of Mesopotamia" in *Science* 26 July 1968, vol. 161. pp. 334-339

(٥) Diana Kirkbridge, "Umm Dabaghiyah, A Second Preliminary Report" in *Iraq* vol. XXXV Spring 1973, p. 6.

الغابات التي كانت تكسوها واختفت الشجيرات والخضرة من بواد واسعة ومنها تلك الممتدة بين دجلة والفرات

فما السبب ياترى في هذا التبدل الواسع في البيئة القديمة ؟ • ولا يمكننا ان نعزي ذلك الى عوامل مثل الحريق والاوبئة والفيضانات واملاح الارض لان النيران قد تشب في غابة فتقضي عليها ولكن تلك الغابة تتكون ثانية بعد سنوات • وقد تهلك الاوبئة والافات نسبة كبيرة من جنس من الحيوان او صنف من النبات ولكنها لا تبيده نظرا لسعة الرقعة التي يتواجد فيها اذ سرعان ما يتكاثر وينتشر ذلك الحيوان او النبات بعد زوال الوباء • اما الفيضانات فلا شك انها تقضي على النباتات في الارض التي تغمرها وخاصة اذا دام الغمر طويلا ، ولكن مفعولها محصور في الاماكن الواطئة ولا يمكن ان تؤدي الى هلاك جنس من الحيوان او صنف من النبات طالما هي ايضا مثل المناخ تواجدها وتكرارها يكاد يكونان ثابتين نسبيا في العشرة الاف سنة الماضية • اما املاح الارض فمفعولها ايضا موضعي ويتوقف انتشار الاملاح على الفيضانات وعلى كمية مياه الارواء •

ونظرا لان هذه العوامل المذكورة لا يمكن ان تكون السبب في التبدل الذي حصل في البيئة القديمة في العراق ، وبما ان المناخ ثابت (نسبيا) وهو ايضا لايمكن ان يكون سببا في ذلك التبدل، فان العامل الاول في التغير الذي طرأ على البيئة هو الانسان • فقد اختفت اجناس من الحيوانات وزالت مناظر طبيعية من الوجود بنتيجة فعل الانسان في سعيه لتحسين احواله واحكام سيطرته على الطبيعة • فقد صاحب سير الحضارة وتطورها الى الاحسن ، سير البيئة الى الاسوء •

كان الانسان في بادىء الامر يعيش على الصيد وعلى جمع الاثمار والحبوب البرية متنقلا من مكان الى اخر • وقبل نحو عشرة الاف سنة ظهرت قرى هنا وهناك سكنها الانسان بصورة مستمرة وبدأ ينتج طعامه بزراعة الحبوب ورعي الضأن والمعز • وبعد الفي سنة اخرى اي في حدود ٦٠٠٠ ق م اتقن المبادىء الاولى للرى[٦] ، ويحتمل انه في ذلك الزمن بدأ يسكن القسم الجنوبي من وادى الرافدين • وقد توفر له الطعام نتيجة معرفته لمبادىء الرى • وتضاعف عدد السكان بشكل واسع ، فبنوا اماكن جديدة ونمت بعض القرى الى مدن[٧]

وقد تطور المجتمع من زمر صغيرة من صيادين الى مجتمع متمدن طبقي توفرت فيه الاختصاصات الاولى • ونشأت في الالف الثالث قبل الميلاد المدن المسورة ذات الخطط المنتظمة مثل الوركاء واور ولكش • وظهرت فيها الحضارة السومرية الاصيلة التي يقف عندها الانسان محتارا لما وصلت اليه من نظم اجتماعية واقتصادية وسياسية ومن نضوج في العلوم التطبيقية • وصار العراق منذ ذلك الزمن مهبطا للحضارة الراقية التي حمل مشاعلها الاكديون والبابليون والاشوريون ، ومن ثم العرب الذين

---

(٦) أن أقدم قنوات ارواء عرفت الى الان هي تلك التي وجدت في جوخه مامي بالقرب من بلدة مندلي ويرقى زمنها الى عصر سامراء من الالف السادس قبل الميلاد

Joan Oates, "Choga Mami 1967-68; A Preliminary Report" in *Iraq* vol. XXXI Autumn 1969 pp. 123-128.

(٧) Frank Hole p 246.

نقاوها بعيدا شرقا وغربا •

وبقدر ما هي الحضارة قديمة وناضجة ومبكرة في بلادنا بذلك القدر اصاب الطبيعة الشيء الكثير من الضرر ومن الاستنزاف في سبيل التطور الحضاري • وهذا ما توصل اليه الباحث فلنيرى في مقال كتبه في عام ١٩٦٥ بعنوان الايكولوجيا لبداية طور انتاج القوت في بلاد الرافدين • وتعنى الايكولوجية دراسة صلة الانسان بالبيئة • ويقول فلنيرى في مقاله المذكورة « في الواقع نعرف جيدا ان المناظر الطبيعية (Landscapes) قد عانت كثيرا وتبدلت بشكل واضح الى الاسوء في العشرة الاف سنة الماضية • فان استغلال الطبيعة بحرث الارض ورعي الحيوانات وقطع الاخشاب قد بدل وجه المنطقة الى صحراء عديمة الفائدة والى صخور وبوادر ليست فيها سوى الاشواك »[٨] • ثم يردف قائلا « الا ان الامكانات الموجودة في هذه المنطقة ومصادر الثروة فيها كثيرة جدا » •

وبهذه المناسبة ارجو ان استرعي الانتباه الى ان ما يقوله فلنيرى وان كان صحيحا فهو لا يعنى ان بلادنا لا توجد فيها الان غابات طبيعية يرتادها الكثير من الحيوانات البرية • اذ من المعروف ان في جبال العراق الكثير من الغابات الطبيعية الواسعة وهي تشغل الان مساحة تقدر باربعة بالمائة من مساحته الكلية ، ذلك فضلا عن الغابات الاصطناعية المتكونة من الاشجار المثمرة كالنخيل والحمضيات وغيرهما• فهذه تشغل مساحات واسعة من ضفاف الانهار ومن الاهوار في الجنوب •

وبعد ان عرفنا ان المناخ ثابت (نسبيا) وأن البيئة قد تغيرت كثيرا نحو الاسوء ، فلا بد وان نتساءل كيف كانت البيئة في كل منطقة من المناطق المختلفة وفي كل عصر من العصور الماضية ؟ • ولا يمكن الاجابة عن هذه التساؤلات في الوقت الحاضر لان معرفتنا بالبيئة القديمة في العراق ضئيلة جدا • والسبيل الى الاجابة عنها هو بجمع المعلومات من مصادرها الثلاثة المعروفة وهي المصادر المرئية والمصادر المدونة والمصادر الاثرية •

المصادر المرئية تتطلب ملاحظة او مشاهدة الغابات والحيوانات الموجودة في مختلف المناطق ودراستها لمعرفة البيئة القديمة • والمصادر المدونة هي تلك الاشارات والاوصاف عن البيئة القديمة الموجودة في الكتابات الاثرية كالسمارية والارامية وفي المصنفات العربية القديمة • اما المصادر الاثرية فهي بالتنقيب في باطن التلول وفي ارضيات الكهوف للكشف عن البقايا العضوية للحياة النباتية والحيوانية من عظام واصداف وحبوب مفحمة وفحم الاخشاب وغبار الطلع •

ولناخذ نماذج من كل من هذه المصادر الثلاثة المذكورة • ففي طريقنا مثلا الى السليمانية تعترضنا هضاب وجبال خالية من الاشجار ولكنه بين الحين والاخر تشاهد شجرة بلوط منفردة يدل وجودها على امكان تشجير المنطقة بالبلوط ، وقد سلمت هذه الاشجار المنفردة من القطع للاعتقاد السائد بقدسيتها وبان قطعها سيجلب الاذى • وتكون هذه الاشجار

---

(٨) المصدر السابق ص ٢٤٧

المنفردة عادة فوق القبور[٩] • واذا ما وصلنا الى السليمانية نلاحظ وراء هذه المدينة الجميلة جبل ازمر وسلسلة جبال كويزه وكلاهما خاليان من الاشجار (بقدر ما يشاهدان من الطريق) • واذا ما عبرنا جبال ازمر في طريقنا الى قلعة جولان نشاهد بضع اشجار ضخمة شامخة متفرقة من شجر العرموط وهي ليست على ماء جار ولا في وادٍ ، ووجودها يدل على انه في الامكان تشجير تلك المنطقة باشجار العرموط الذي ينبت بصورة برية في بعض الاماكن من جبالنا الشامخة واذا اتجهنا الى العمادية من الموصل تصادفنا في بادىء الامر سلسلتا جبال القوش وبيخير وهما خاليتان من الاشجار ولكن وجود شجرة شامخة على قمة كل منهما يشير الى امكان القيام بالتشجير في ذينك الجبلين • وتلاحظ في السهول الواقعة الى الشمال من جبل سنجار اشجار هرمة للبطم او الفستق متفرقة في حقول الحنطة والشعير بين القرى التي يسكنها اليزيديون • وهذه الاشجار كثيرة العدد ولا يمسها احد باذى لانها تعتبر مقدسة تابعة لشيخ اليزيدية « شرف الدين » الذى قبره يزار في لحف جبل سنجار جوار اشجار البطم • وهذه الاشجار لا تقع على مجرى ماء وهي متفرقة كثيرا، ومن المحتمل انها من الاشجار الطبيعية تمثل البقية الباقية لغابة واسعة •

اما الاشارات عن موضوع البيئة في الكتابات والمؤلفات القديمة فهي كثيرة جدا ونذكر منها تتفاه، فقد عنى سكان العراق من سومريين وبابليين واشوريين كثيرا بوضع معاجم عن النباتات[١٠] والحيوانات دونوها على الواح الطين • وقد تمكن الاستاذ الكبير لاندسبرجر[١١] ان ينشر مجموعة منها خاصة بالحيوانات ويبدو ان حيوان البيسون الذي كان يرتاد سهول اميركا بصورة خاصة كان نوعا منه على ما يظن موجودا في العراق وكان يعرف بالسومرية بكلمة «ألم»[١٢] ، وكانت له قدسية في العصر السومري الكلاسيكي • ولما انقرض (في الالف الرابع ق م) استمر السومريون على تمثيله في فنونهم براس عجل تشد عليه لحية مستعارة لان البيسون يتميز عن الثور بلحيته • وهذا ما نشاهده في القيتارة الذهبية المعثور عليها في المقبرة الملكية في اور حيث نرى اللحية مثبتة

---

(٩) تكوّن اشجار البلوط في الوقت الحاضر منطقة تمتد على جبال زاكروس من ارتفاع ٦٠٠م فوق سطح البحر الى ارتفاع ٢٠٠٠م • أما فصيلة الفستق التي تشمل ايضا البطم والحبة الخضراء والبربطمي فهي تتواجد تحت ذلك المستوى في السهوب والسهول ، حيث تحتاج هذه الفصيلة الى مناخ ادفأ من المناخ المناسب للبلوط واقل مطرا • ولازالت تشاهد اشجار الفستق في سهل ناحية الشمال فى محافظة نينوى ، أو فى وادي البطم الذي شيد عليه قصير عمرة في الاردن ، حيث تصل درجة الحرارة في تلك الصحراء (٦٠) مائوية صيفا وقد بلغ قطر احدى هذه الاشجار تسعة اقدام ونرى صورتها في : Guy Mountfort — *Portrait of a Desert* (London 1965) Fig 67a.

(١٠) ومن المصادر المهمة في موضوع النباتات كتاب

Compbell Thompson, *A Dictionary of Assyrian Botany* (London 1949).

(١١) Landsberger (B). *Die fauna des Alten Mesopotamien nach der Tafel der Serie* HAR-RA=HUBULLU (Leipzig 1934).

(١٢) Wofgang Heimpel, *"Tier-bilder in Der Sumerischen Literatur* (Rome 1968) pp. 75-79.

بشريط على أنف العجل في مقدمة القيثارة[١٣] •

وفي المنطقة المحصورة بين الخابور والفـــرات اصطاد فرعون مصر تطمس الثالث فيلة ، اذ يخبرنـا في احدى كتاباته بانه بعد ان انتصر في معركة قادش الواقعة على نهر العاصي فيسوريا في مستهل القـــرن الخامس عشر قبل الميلاد نظم حملة لاصطياد الفيلة في المنطقة الواقعة عند التقاء الخابور بالفرات • فطارد هو ومن معه قطيعا يتألف من (١٢٠) فيلا وقد تعرض الملك للمخاطر بهجوم احد الفيلة عليه الا ان وزيره منحاب اسرع لنجدته وتمكن من انقاذه[١٤] •

ويذكر لنا الملك الاشوري تغلاث بلاصر الاول (١١١٢ـ١٠٧٤ قم) بانه بعد أن طارد قبائل أحلامى في حملته العسكرية الخامسة عبر نهر الخابور وقتل في المنطقة الواقعة بالقرب من مدينة حران عشرة فيلة واصطاد اربعة احياء نقلها الى بلاده • ويبدو مـــن هاتين الاشارتين ان عدد الفيلةأخذ يقلفي الفترةبين تطمس الثالث وزمن تغلاث بلاصر الاول • وظلـت اعداد منها ترتاد الفرات في زمن اشور ناصربال الثاني الى ان انقرضت باصطيادها من قبل الملوك الاشوريين انفسهم في القرن الثامن قبل الميلاد[١٥] •

أما الاسود فقد كانت منتشرة في شمال العـراق وجنوبه وظلت تذكر في الكتب العربية • واخر اسد ذكر اصطياده في عام ١٨٩٦م*

ومثلما انقرض البيسون والفيل والاسد كذلك انقرضت الخيول البرية والنمور والفهـــود والقطط الوحشية وبقر المهاة وحمر الوحش والاياييلواليحمور والضباع والضان البرية ومن الطيور النعام وغيرها من الحيوانات

وكلنا نذكر بهذه المناسبة ما اصـاب الغـــزال (الضباء) في وقتنا الحاضر • فقد كان يشاهد بكثرة قبل نحو عشرين عاما في كل مكان من سهول العراق، اما الان فقد انقرض او اوشـك على الانقراض • واخر غزال شاهدته كان قبل ثلاث سنوات فـي منطقة سنكرة (لارسا الاثرية) من قضاء الشطرة• وبزوال هذا الحيوان اخذ الذئب والضبع نحـــو الزوال لانهمـا مرتبطـان بالغزال في عيشهمـا في البوادي •

وينقل لنا زينفون صورة للبيئة التي شاهدهـا بنفسه عندما رافق في حدود عام ٤٠٠ قم الحملـــة التي سار بها كورش الامير الاخميني الثائر من اسيا الصغرى الى طيسفون (المدائن) ، بمحاذاة الفرات • ويقول زينفون « البلاد سهلة منبسطة كالبحـــر ، مكسوة بشجيرات الافسنتين وبكل ما ينبت من الاعشاب والشجيرات ذات الرائحة العطرية • الا أنه لاتوجد اشجار • ومن الحيوانات البرية الكثيرة الانتشـار الحمار الوحشي ، وليس قليلا عدد النعام ، ويلـــي ذلك كثرة الحباري ثم الغزلان التي طاردها فرساناه والحمر الوحش لما طوردت سبقت الخيل ثم وقفت (لانها اسرع من الخيل) ، ولما اقتربت منها خيولنا ركضت ثانية ثم وقفت • وهكذا لم يتمكن فرساننا من

---

(١٣) لاحظ ذلك في الشـكل ٨٢ من كنوز المتحف العراقي الدكتور فرج بصمهجي (بغـداد ١٩٧٢) •

(١٤) Breasted (J.H.) *A History of Egypt* (New York 1921) p. 304.

(١٥) Olmstead (A.T.) *History of Assyria* (New York 1923), p. 64.
Barnett (R. D.), *Assyrian Palace Reliefs* (Batchworth Press) p. 11.

★ انظر الصفحة ١٠ من المرجع السابق لبارنت

اصطيادها الا بعد ان انقسموا الى زمر فتمكنوا من ملاحقتها من جميع الجهات واستطاعوا من اصطياد الواحد منها بعد الآخر • ان لحم الحمر المصطادة يشبه في طعمه لحم الغزال الا أنه اكثر طراوة»[١٦]•

وظل هذا الحيوان يرتاد بادية جزيرة العراق الى زمن حديث يذكر لنا المنقب المشهور ليارد بانه شاهد قطيعا من « حمر الوحش في طريقه من سنجار الى تلعفر في عام ؟ ١٨٤٦ • ويقول انها « في الركض كالغزال • واللحاق بها عمل شاق ولا يعرف الافرس (او اثنتين) اشتهرت بتمكنها من ذلك • ويقفص العرب احيانا صغار الحمر في الربيع ويربونها على الحليب في الخيم • وقد سعيت ان أحصل على زوج منها • ولون الحمار بلون الخشف (فرخ الغزال) قريب من اللون الوردي الفاتح • ولا يزال العرب يأكلون لحم حمر الوحش »[١٧] •

وفي الاشعار والتأليف العربية القديمة معلومات واسعة عن احوال البيئة ، ومن المصنفات المهمة في هذا الموضوع ما كتبه الجاحظ[١٨] والاصمعي وقطرب[١٩] والقزويني[٢٠] • وتوجد اشارات ذات اهمية بالنسبة لموضوعنا في كتب كثيرة اخرى مثل معجم البلدان لياقوت الحموي[٢١] الذي نذكر ، على سبيل المثال ما جاء فيه عن مدينة سنجار حيث يقول ياقوت :

«وامامها واد فيه بساتين ذات اشجار وتخيل ونارنج وترنج » • ومثل هذه الاشارة تبين لنا التبدل الذى حصل في البيئة النباتية في مكان معين وهو سنجار في هذه الحالة •

ويبدو ان بادية الشام كانت اطرافها غنية باصناف من الحيوانات ، ووديانها بانواع من النباتات وخاصة في العصر الاموي، حين شيدت فيها قصور كثيرة للصيد وللترويح عن النفس بالابتعاد عن حياة المدن • وقد كشف حديثا عن احد هذه القصور في بادية كربلاء في مكان قريب من قصر الاخيضر عبر وادى الابيض، ولا يزال التنقيب مستمرا فيه • ونذكر من هذه القصور الصحراوية الاموية قصري الحير الغربي والحير الشرقي في سورية ، وقصر حرانة والمشتى وقصير عمرة وقصر الازرق والحلابات وجميعها في الاردن • وهذه القصور وغيرها دليل على وفرة الصيد في زمنها وهي الان في ارض قفراء لا نبت فيها ولا حياة في اكثر الفصول •

ومن اجمل هذه الابنية الاثرية قصير عمرة الذي جدرانه وقبواته جميعها مكسوة من الداخل برسوم ملونة يمثل البعض منها مشاهد صيد للبقر البري والضباء والحمر الوحش • وقصير عمرة بناء صغير مشيد بالحجر والكلس وهو أقرب ان

---

(١٦) Layard (A.H.), *Nineveh and Its Remains* (London 1849), vol. I p. 325 footnote.

(١٧) المصدر السابق ص ٣٢٤ ـ ٣٢٥

(١٨) الجاحظ (عمرو بن بحر) كتاب الحيوان، تحقيق وشرح عبدالسلام محمد هارون (مصر ١٩٤٥) •

(١٩) الاصمعي (عبدالملك) كتاب الوحوش ، وقد نشره Rudolf Geyer, *Kitab Al-Wuhush*, von Al-Asmaei (Wien 1888).

وفي هذه الطبعة الاوربية جزازات من كتاب قطرب •

(٢٠) القزويني (زكريا بن محمد) ، عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات (كويتجن١٨٤٩)

(٢١) ياقوت الحموي ، معجم البلدان (مصر ١٩٠٦) مادة « سنجار »

يكون حماما • والدخول فيه يكون من باب يؤدي الى قاعة للاستراحة مربعة تقريبا طول ضلعها نحو ٧½م • ويقابل الباب فجوة على جدارها المقابل للباب صورة امير جالس على كرسي وعلى جانبيه خادمان ويظن انه الخليفة الاموي الوليد بن عبدالملك • وعلى جانبي الفجوة حجرتان صغيرتان• وفي الجدار الشرقي للقاعة مدخل يؤدي الى حجرتين صغيرتين متجاورتين ينفذ منهما الى مكان للاستحمام، وهاتان الحجرتان المتجاورتان تقومان مقام المنزع المألوف في الحمامات ، وفي احد المشاهد يرى شكل البقر البري (المها او المهاة) مرسوما بجسم غليظ كالبقر الاهلي وبرأس صغير مع خفة في حركة الجسم كخفة الغزال • ولكن القرنين مستقيمان متوازيان وطويلان[٢٢] • وقد اصبح البقر الوحشي في وقتنا من اندر الحيوانات وجودا في العالم واغلاها ثمنا • ولا يعرف له وجود الا بقلة في اليمن وبلاد عمان • وفي مشهدين اخرين نوعان من صيد الحمار الوحشي احدهما باستخدام كلاب الصيد ، والمشهد الاخر وهو يحتل طول جدار القاعة فيه اصطياد الحمر الوحشية بسوقها الى داخل شباك تنصب لها• ويكون سوقها ليلا بتخويفها في وادى البطم المجاور لقصير عمره بمشاعل يحملها الصيادون تفزع منها الحمر فتبتعد عنها فتقع في الشباك •

وبعد ان اعطينا نماذج مما يمكن جمعه من المصادر المرئية والمصادر المدونة لمعرفة البيئة القديمة في العراق يقى لنا ان نبحث عن المصادر الاثرية ، وهذه تعتمد على علم التنقيب والعلوم الحديثة الاخرى وتتكون المصادر الاثرية من بقايا النباتات والحيوانات من مختلف العصور ، وتكون عادة في التربة تحت سطح الارض • ومن البقايا العضوية غبار الطلع للنباتات من اشجار واعشاب ، ويعتبر اهم مادة لمعرفة المناخ والبيئة النباتية القديمة • وغبار الطلع متوفر في اماكن كثيرة وقد يبقى سالما بصورة ايجابية او سلبية في ظروف معينة الى الوف السنين لا بل احيانا الى ملايين السنين • فاذا ما وجد وحدد زمنه بتحديد زمن الطبقة التي وجد فيها باحدى الطرق الحديثة كتحليل الكاربون الرابع عشر المشع او بتحليل اليورانيوم حينئذ يكون بوسعنا معرفة المناخ والبيئة في زمن ذلك الغبار بعد ان يتم تشخيص النباتات التي يعود اليها ذلك الغبار، حيث ان كل نبات لا يتواجد الا اذا توفرت كميات الامطار ودرجات الحرارة الملائمتان له والتربة المناسبة لنموه• ومعنى هذا اننا اذا ما شخصنا النباتات التي يعود اليها غبار الطلع يكون بوسعنا ان نتعرف على البيئة في زمن ذلك الغبار •

اما بالنسبة الى البقايا العظمية فان دراستها تكشف لنا عن اجناس الحيوانات التي كانت متواجدة في زمن الطبقة التي يكشف فيها عن تلك العظام ، وبالتالي يمكن معرفة البيئة الطبيعية من زمن تلك الطبقة باعتبار ان لكل حيوان البيئة الملائمة لوجوده•

---

(٢٢) أول من نبه الى وجود هذا القصر واهميته المستشرق الويس موزيل الذي زاره في عام ١٨٩٨ ، واصطحب معه رسامين في رحلات اخرى ، ثم نشر ذلك في مجلدين بعنوان :
Musil (Alois), *Kusejr Amra* (Wien 1920).
ويشاهد فيهما مخطط البناء ومستنسخات بالالوان للرسوم التي على جدرانه وقبواته • وتم في السنوات الاخيرة تنظيف الرسوم من السخام والاوساخ المغطية لها فظهرت واضحة بالوانها الاصلية • الا ان هذه الرسوم لم تنشر بعد التنظيف •

واحدث ما حصل من هذا القبيل هو في التنقيبات التي تجريها بعثة بريطانية في ربيع كل عام منذ ١٩٧١ في موقع ام دباغية الذي يقع على ٢٥كم من شمال عرب‌مدينة الحضر بمحافظة نينوى[٢٣] •فقدوجدت في هذا الموقع اربع طبقات بنائية تعود الى ما قبل ثمانية الاف عام ، وقدعنى بجميع العظام في هذه الطبقات وبصورة خاصة في الموسم الثاني،(١٩٧٢) • وبلغ عددها (٦٥٨٠) عظما بالاضافة الى العديد من الكسر العظمية التي لا فائدة منهـا للدراسة • وقد تمت دراسة هذه المجموعة العظمية وتشخيص الحيوانات التي تعود اليهـا ، وتبين انها لاثني عشر جنسـا من الحيوانات الا ان ٦٥ بالمائة منها يعود الى الحمـار الوحشي و ١٥ بالمائة الى الغزال ونسبة ضئيلة منها الى الحيوانات الاهلية التي كانت مدجنة في تلك الازمنة وهي الكلب والبقر والخنزير والضان والمعز[٢٤] • ومن الحيوانات التي وجدتلها عظام الثور البري والارخص • وهكذا امدتنا هذه التنقيبات بمعلومات عن البيئة الطبيعية في ديرة الحضر قبل ثمانية الاف عـام •

وليس فقط غبار الطلع وعظام الحيوان هـي التي يمكن ان تكون ذات فائدة بخصوص موضوعنا بل كذلك فحم الخشب والحبوب المتفحمـة او التي تركت طابعها في الطين أو في الفخار ، والاصداف، والمواد العضوية الاخرى •

وختاما نذكر بعض الحقائق التي من الممكـن استخلاصها من دراسة البيئة الطبيعية القديمة فـي العراق • وهي :ـ

اولا ـ ان الكثير من الاماكن في الجبال الجرداء والسهول القفراء كانت في الماضي خضراء ترتع فيهـا حيوانات لا وجود لها في الوقت الحاضر •

ثانيا ـ ان المناخ ثابت بصورة عامة ، ولم‌تحصل فيه نسبيا تبدلات اساسية خـلال الخمسـة آلاف سنة الماضية باقل تقدير • وهذا يعني ان المناخ لا يعوقنا في انشاء البيئة الطبيعية لا بل يكون مساعدا لنا وخاصة اذا اعدنا البيئة وفق اصولها القديمة •

ثالثا ـ امامنا واجب مقدس يتطلب منا الاسراع والاكثار من التشجير ومن اتخاذ الوسائل الكفيلـة لحماية البعض من الحيوانات ضمن خطة لاعادة البيئة الى طبيعتها الزاهية الاصلية وذلك وفق ظـروف المدنية الحاضرة •

رابعا ـ ان دراسة البيئة القديمة من مصادرها المرئية والمدونـة والاثـريـة حيويـة جـدا لاحيـاء البيئـة الاصـلية وعليـه ينبغـي تأسيس مركز واحد او اكثر لهذا الغرض في الجامعات لان هذه الدراسات تساعدنا على التخطيط لبناء البيئة وفق طبيعتها الاصلية الملائمة لمناخ العراق وتربته

---

(٢٣) يراجع وصف هذه التنقيبات للمواسم الثلاثة في التقارير الاتية : ـ

Diana Kirbridge, "Umm Dabaghi-yah", *Iraq* vol XXXIV Spring 1972 pp. 3-15; vol XXXV Spring 1973 pp. 1-7; volXXXV Autumn 1973 pp. 205-208.

(٢٤) Sandor Bokonyi, "The Fauna of Dabaghiyah", Iraq Vol. XXXV Spring 1973 pp. 9-11.